

المراح في المزاح
ابو البركات الغزي

[To PDF: http://www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على جميل أفضاله، وجزيل بره ونواله، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد وصحبه وآله.

وبعد فقد سئلت قدما عن المزاح، وما يكره منه وما يباح، فأجبت بأنه مندوب إليه بين الإخوان، والأصدقاء والخلان. لما فيه من ترويح القلوب، والاستئناس المطلوب، بشرط أن لا يكون فيه قذف ولا غيبة، ولا يحرك الحقود الكمينية ثم طلب مني بعد مدة السائل، بسط الكلام في ذلك وإيضاح الدلائل، فقلت مستعينا بالله ومتوكلا عليه، ومفوضا جميع أموري إليه: قد ورد في ذم المزاح ومدحه أخبار، فحملنا ما ورد في ذمه على ما إذا وصل إلى حد المثابرة والاكثار. فإنه إزاحة عن الحقوق، ومخرج إلى القطيعة والعقوق. يصم المزاح، ويضيم الممازح. فوصمة الممازح أن يذهب عنه الهيبة والبهاء، ويجريء عليه الغوغاء والسفهاء، ويورث الغل في قلوب الأكابر والبنهاء. وأما إضامة الممازح فلأنه إذا قوبل بفعل ممض وقول مستكره وسكت عليه أحزن قلبه وأشغل فكره، أو قابل عليه جانب مع صاحبه حشمة وأدبا، وربما كان للعداوة والتباغض سببا، فإن الشر، إذا فتح لا يستد، وسهم الأذى إذا أرسل لا يرتد. وقد يعرض العرض للهتك، والدماء للسفك. فحق العاقل يتقيه، ويتره نفسه عن وصمة مساويه. وعلى ذلك يحمل ما روي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: الْمَزَاحُ اسْتِدْرَاجٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَاحْتِدَاعٌ مِنَ الْهَوَى وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُمَارِ أَخَاكَ وَلَا تُمَازِحْهُ وَلَا تَعِدْهُ مَوْعِدًا فَتُخْلِفُهُ. وقال عمر بن عبد العزيز: اتقوا المزاح فإنها حمقة تورث ضغينة. وقال: إنما المزاح سباب إلا أن صاحبه يضحك وقيل: إنما سمي مزاحا لأنه مزيج عن الحق.

وقال إبراهيم النخعي: المزاح من سخف أو بطر. وقيل في منشور الحكم: المزاح يأكل الهيبة كما تأكل النار الحطب. وقال بعض الحكماء: من كثر مزاحه زالت هيئته، ومن كثر خلافه طابت غيبته. وقال بعض البلغاء: من قل عقله. كثر هزله.

وذكر خالد بن صفوان المزاح فقال: يصك أحدكم صاحبه بأشد من الجنديل، وينشقه أحرق من الخردل، ويفرغ عليه أحر من المرجل، ثم يقول: إنما كنت أمازحك.

وقال بعض الحكماء: خير المزاح لا ينال، وشره لا يقال، فنظمه السابوري في قصيدته الجامعة للآداب فقال وزاد:

وخيرُهُ يا صاح لا يُنال

شرُّ مَزَاحِ المرءِ لا يُقال

وقد يُقال كثرة المزاح
من الفتى تدعو إلى التلاحي
إن المزاح بدؤه حلاوه
لكنما آخره عداؤه
يُحقد منه الرجل الشريفُ
ويجتري بسُخفه السخيفُ

وفي معنى هذه الجملة الأخيرة قول شيخ الإسلام الوالد في منظومته في التصوف:

ولا تمازح الشريفَ يحقد
ولا الدني يجتري ويفسد
وما أحسن ما قال أبو نواس:

مُت بداء الصمت خيرُ
لك من داء الكلام
إنما السالم من أل
جم فاه بلجام
ربما يستفتح المز
خ مغاليق الحمام
والمنايا آكلاتُ
شارباتُ للأنام

وحملنا ما ورد في مدح المزح على ما سلم مما ذكر، فإنه قل ما يعرى من المزاح من كان سهلاً، فالعاقل يتوخى بمزحه إحدى حالتين: إما إيناس المصاحبين، والتودد إلى المخاطبين، وهذا يكون بما أنس من جميل القول، وبسط من مستحسن الفعل كما قال سعيد بن العاص لابنه: اقتصد في مزحك فإن الإفراط فيه يذهب البهاء، ويجرئ السفهاء، وإن التقصير فيه يغض عنك المؤانسين، ويوحش منك المصاحبين. وإما أن ينفي بالمزاح ما طرأ عليه من سأم، أو حدث من سأم، أو حدث به من هم وغم. فقد قيل: لا بد للمصدر أن ينفث وأنشد أبو نواس:

أروح القلب ببعض الهزل
أمزح فيه مزح أهل الفضل
تجاهلاً مني بغير جهل
والمزح أحياناً جلاء العقل

وأنشد أبو الفتح البستي

أفد طبعك المكدود بالجدِّ راحةً
ولكن إذا أعطيتَه المزح فليكن
يجمِّم وعلله بشيء من المزح
بمقدار ما تعطي الطعم من الملح

قال الأبيرد:

إذا جدَّ عند الجدِّ أَرْضَاكَ جُدُّهُ
وذو باطلٍ إن شئتَ أَلْهَاكَ باطله

وقال أبو تمام:

وعلى هاتين الحالتين كان مزح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه وتابعيه والعلماء والأئمة. روى بكر بن عبد الله المزني أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إِنِّي لَأَمْزِحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا الْحَقَّ. وفي روايةٍ إِلَّا حَقًّا. وعن أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا قال: إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا. وقد سئل سفيان: المزاح هُجْرَةٌ؟ فقال: بل سنة لقوله عليه السلام إني لأمزح ولا أقول إلا الحق وقال أنس بن مالك: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أفككه الناس.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَوَّحُوا الْقُلُوبَ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ.

ومن مزاحه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما رواه أنس قال: إن كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: يا أبا عمير ما فعل النغير؟ كان له نغير يلعب به فمات. وما رواه الحسن قال: أتت عجوز من الأنصار إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: يا رسول الله ادع لي بالمغفرة فقال لها: أَمَا عَلِمْتِ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا الْعَجَّازُ وفي رواية العجوز وفي رواية لَا تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَجُوزٌ فَبَكَتْ وفي رواية فصرخت فتبسم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال لها: لَسْتُ يَوْمَئِذٍ يَعْجُوزُ أَمَا قَرَأْتِ قَوْلَهُ تَعَالَى: "إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرْبًا أَثْرَابًا".

وروى زيد بن أسلم أن امرأة يقال لها أم أيمن جاءت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حاجة لزوجها فقال لها: مَنْ زَوْجُكَ؟ فقالت فلان فقال: الَّذِي فِي عَيْنِهِ بَيَاضٌ؟ فقالت أي رسول الله ما بعينه بياض قال: بلى إِنَّ بَعِيْنَهُ بَيَاضًا فقالت: لا والله فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَمَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بَعِيْنُهُ بَيَاضٌ وفي رواية فانصرفت عجلي إلى زوجها وجعلت تتأمل عينيه فقال لها: ما شأنك؟ فقالت: أخبرني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن في عينيك بياضاً فقال لها: أَمَا تَرَيْنِ بَيَاضَ عَيْنِي أَكْثَرَ مِنْ سَوَادِهَا؟.

وجاءته امرأة أخرى فقالت: يا رسول الله احملي علي بعير فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: احمليها على ابن البعير فقالت: ما أصنع به؟ ما يحملي فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَهَلِ مِنْ بَعِيرٍ إِلَّا ابْنُ بَعِيرٍ؟ فكان يمزح معها. وعن أنس أن رجلاً استحمل فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إِنِّي حَامِلُكَ عَلَيَّ وَكَلِدِ نَاقَةَ فَقَالَ: مَا أَصْنَعُ بَوْلِدِ النَّاقَةِ؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَهَلِ تَلِدُ الْأَبْلَ إِلَّا التُّوقُ؟.

وعن جابر قال: دخلت على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والحسن والحسين على ظهره وهو يمشي بهما على أربع ويقول: نِعْمَ الْجَمَلُ جَمَلُكُمَا وَنِعْمَ الْعِدْلَانِ أَنْتُمَا.

وعن زينب بنت أبي سلمة قالت: دخلت على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يغتسل، فأخذ حفنة من ماء

فضرب بها وجهها وقال يالكاع.

وعن أنس أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: يَا ذَا الْأُذُنِينَ.

وعن بلال أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رآه وقد خرج بطنه فقال: أَمْ حُبِّينَ تَشْبِيهَاً لَهَا بِهَا وَأَمْ حُبِّينَ دُوبِيَةَ عَلَى خَلْقَةِ الْحَرْبَاءِ عَظِيمَةِ الْبَطْنِ وَيُقَالُ: هِيَ أَثَى الْحَرَايِ وَقَدْ تَكَلَّمَ الْفُقَهَاءُ فِي حِلِّهَا.

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَابَقَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَبَقْتَهُ، فَلَمَّا حَمَلَتِ اللَّحْمَ سَابَقَنِي فَسَبَقَنِي فَقَالَ: هَذِهِ بِتَلِكِ.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلشَّفَاءِ بِنْتِ عَبْدِ اللهِ: عَلَّمِي حَفْصَةَ رُقِيَةَ النَّمْلَةِ كَمَا عَلَّمْتَهَا الْكِتَابَةَ وَالنَّمْلَةُ قَرُوحٌ تَخْرُجُ فِي الْجَنْبِ وَرُقِيَّتُهَا شَيْءٌ كَانَتْ تَسْتَعْمَلُهُ النِّسَاءُ يَعْلَمُ كُلُّ مَنْ يَسْمَعُهُ أَنَّهُ كَلَامٌ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ وَهُوَ أَنْ يَقَالَ: الْعَرَسُ تَحْتَفِلُ، وَتَحْتَضِبُ وَتَكْتَحِلُ، وَكُلُّ شَيْءٍ تَفْتَعِلُ، غَيْرَ أَنْ لَا تَعْصِي الرَّجُلَ، أَرَادَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذَا الْمَقَالَ تَأْنِيْبَ حَفْصَةَ لِأَنَّهُ أَلْقَى إِلَيْهَا سِرًّا فَأَفْشَتْهُ فَكَانَ هَذَا مِنَ الْمَزَاحِ وَلِغَزِّ الْكَلَامِ.

وعن النعمان بن بشير قال استأذن أبو بكر رضي الله عنه على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسمع صوت عائشة عاليا، فلما دخل تناولها ليلطمها وقال: لَا أَرَاكَ تَرْفَعِينَ صَوْتَكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْجُزُهُ وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مَغْضَبًا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ: كَيْفَ رَأَيْتِي أَنْقَذْتُكَ مِنَ الرَّجُلِ؟ قَالَ: فَمَكَثَ أَبُو بَكْرٍ أَيَّامًا ثُمَّ اسْتَأْذَنَ فَوَجَدَهُمَا قَدْ اصْطَلَحَا فَقَالَ لهُمَا: أَدْخَلَانِي فِي سَلِيمِكُمَا كَمَا أَدْخَلْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ فَعَلْنَا.

وعن أنس أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ بَعْضَ نِسَائِهِ بِقِصْعَةٍ فَدَفَعْتَهَا عَائِشَةَ فَأَلْقَتْهَا وَكَسَرَتْهَا، فَجَعَلَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَضُمُ الطَّعَامَ وَيَقُولُ: غَارَتْ أُمُّكُمْ فَلَمَّا جَاءَتْ قِصْعَةُ عَائِشَةَ بَعَثَ بِهَا إِلَى صَاحِبَةِ الْقِصْعَةِ الَّتِي كَسَرَتْهَا وَأَعْطَى عَائِشَةَ الْقِصْعَةَ الْمَكْسُورَةَ.

وعن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: قَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ عِنْدِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُودَةٌ فَصَنَعَتْ خَزِيرًا فَجِئْتُ بِهِ فَقَلْتُ لِسُودَةَ: كُلِّي فَقَالَتْ: لَا أَحِبُّهُ فَقَلْتُ: وَاللهِ لَتَأْكُلِينَ أَوْ لِأَلْطَخَنَّ وَجْهَكَ فَقَالَتْ: مَا أَنَا بِيَاغِيَةٍ، فَأَخَذَتْ شَيْئًا مِنَ الصَّحْفَةِ فَلَطَخَتْ بِهِ وَجْهَهَا وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَخَفِضَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكْبَتَيْهِ لِتَسْتَقِيدَ مِنِّي فَتَنَاوَلَتْ مِنَ الصَّحْفَةِ شَيْئًا فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ فِي حَدِيثٍ أَكْبَرَ مِنْ هَذَا.

وعن عائشة قالت: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَدِينَةَ عَرَسَ بِصَفِيَّةٍ فَأَخْبَرَنِي قَالَتْ: فَتَنَكَّرْتُ وَتَنَقَّبْتُ فَذَهَبَتْ أَنْظُرُ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيَّ فَعَرَفَنِي فَأَقْبَلَ إِلَيَّ فَانْقَلَبْتُ رَاجِعَةً فَأَسْرَعَ الْمَشْيَ

فأدر كني فاحتضني فقال: كيف رأيت؟ قلت: يهودية بين يهوديات.

وعن عائشة أنه ذكر عندها ما يقطع الصلاة الكلب والحمار والمرأة فقالت: عائشة قد شبهتمونا بالحмир والكلاب؟ والله لقد رأيتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصَلِّي وَإِنِّي عَلَى السَّرِيرِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ مضطجعةً الحديث.

وعن عروة بن الزبير قال: قالت عائشة: ما يقطع الصلاة؟ قال: فقلنا: المرأة والحمار فقالت: إِنَّ الْمَرْأَةَ لِدَابَّةٌ سَوْءٌ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَرِضَةً كَاعْتِرَاضِ الْجِنَازَةِ وَهُوَ يَصَلِّي. عن ابن أبي عتيق قال: تحدثتُ أنا والقاسم "يعني ابن محمد" عند عائشة حديثاً وكان القاسم رجلاً لحانة وكان لأمّ ولد فقالت له عائشة: مالك لا تَحَدِّثُ كَمَا يَتَحَدَّثُ ابْنُ أَخِي هَذَا؟ "يعني ابن أبي عتيق" أما إني قد علمت من أين أتيت، هذا أدبته أمه، وأنت أدبتك أمك قال: فغضب القاسم وأضبَّ عليها "يعني حَقْدٌ"، فلما رأى مائدة عائشة قد أتت بها قام، قالت: أين؟ قال: أصلي قالت: اجلس قال: إني أصلي قالت: اجلس عُذْرِي إني سمعتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ وَلَا هُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ "روى الثلاثة مسلم".

وعن أنس أن رجلاً من أهل البادية اسمه زاهر بن حرام وكان يهدي للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من البادية فيجهزه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أراد أن يخرج فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ، وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحبه وكان دميماً فأتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوماً وهو يبيع متاعة فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصر قال: أرسلي، من هذا؟ فالتفت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجعل لا يألوما أُلزق ظهره رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين عرفه وجعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ؟ فقال: يا رسول الله إِذَا وَاللَّهِ تَجَدَدِي كَاسِدًا، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ.

وعن ربيعة بن عثمان أنه بلغه أن حوَّات بن جبير كان جالسا إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا لَكَ مَعَ أَوْلَاءِ النَّسْوَةِ؟ قال: يَفْتَلِنَ ضَفِيرًا لِحْمَلِي لِي شَرُودٍ قال: فمضى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحاجته ثم طلع عليّ فقال: أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا تَرَكَ ذَلِكَ الشَّرَادَ بَعْدُ؟ قال: فسكت وأستحييتُ فكنت بعد ذلك أتفرد منه كلما رأيته حياءً منه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت المدينة حتى طلع عليّ وأنا أصلي في المسجد إليّ فطولت فقال: لَا تُطَوِّلْ فَإِنِّي أَنْتَظِرُكَ فَلَمَّا فَرِغْتَ قَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا تَرَكَ ذَلِكَ الْجَمَلَ الشَّرَادَ بَعْدُ؟ قال: فسكت وأستحييتُ، فقام فكنت أتفرد منه حتى لحقني يوماً وهو على حمار وأنا أريد قُبَاً، وقد جعل رجليه في شق واحد فقال: أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا

تَرَكَ ذَلِكَ الْجَمَلَ الشَّرَادَ بَعْدُ؟ قُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا شَرَدَ مِنْذَ أُسَلِمْتُ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُمَّ اهْدِ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ قَالَ الرَّاوِي: فَحَسَنَ إِسْلَامَهُ وَهَدَاهُ اللَّهُ وَلَهُ الْحَمْدُ. وَذَكَرَ غَيْرَ وَاحِدٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَالَ لَهُ: مَا فَعَلَ جَمَلُكَ الشَّرُودَ قَالَ: عَقَلَهُ الْإِسْلَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

وهو خَوَات بن جبیر بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس وهو البرک بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالک بن الأوس، كسر أوْهْمَش في غزوة بدر فرده النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضرب له بسهم وشهد المشاهد كلها بعد وعاش حتى كف بصره ومات في سنة اثنتين وأربعين في أول ولاية معاوية وله عقب. وكان معاوية عنه منحرفاً.

عن الواقدي قال: قال خَوَات بن جبیر: فعلت ثلاثة أشياء لم يفعلهن أحد قط: ضحكت في موضع لم يضحك فيه أحد قط، ونمت في موضع لم ينم فيه أحد قط، وبخلت في موضع لم يبخل فيه أحد قط. انتهيت يوم أحدٍ إلى أخي وهو مقتول وقد شق بطنه وقد خرجت حشوته، فاستعنت بصاحب لي عليه فحملناه وختل المشركين حوالينا فأدخلت حشوته في جوفه وشددت بطنه بعمامي وحملته بيني وبين الرجل، سمعت صوت حشوته رجعت في بطنه ففزع صاحبي فطرحه فضحكت، ثم مشينا فحفرت له بسية قوسية وكان عليها الوتر فحللته وبخلت به مخافة أن ينقطع فحفرت له فدفنته، فإذا أنا بفارس قد سدده رجمه نحوي يريد أن يقتلني فوق علي النعاس فنمت في موضع ما نام فيه أحد قط، فانتبهت فلم أر فارساً ولا غيره ولا أدري أي شيء كان ذلك.

وعن يوسف بن محمد الصهبي عن أبيه قال: قدم صهيب من مكة فتزل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبي بكر رضي الله عنه، فدخل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يشتكى عينيه وهو يأكل تمرًا فقال: أَيَا صُهَيْبُ تَأْكُلُ التَّمْرَ عَلَى عِلَّةِ عَيْنَيْكَ؟ فقال: إِنَّمَا أَكُلُ مِنَ الشَّقِّ الصَّحِيحِ فَضَحَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى بدت نواجذه، وإنما استجاز صهيب أن يعرض لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمرح في جوابه لأن استخباره قد كان يتضمن المرح، فأجابه عنه بما وافقه من المرح مساعدة لغرضه وتقرباً من قلبه، وإلا فليس لاحد أن يجعل جواب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مزحاً، لأن المرح هزل ومن جعل جواب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الميّن عن الله عزَّ وجلَّ أحكامه المؤدي إلى خلقه أو امره هزلاً ومزحاً فقد عصى الله تعالى ورسوله، وصهيب كان أطوع لله سبحانه ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكون بهذه المتزلة، وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنا سابق العرب وصهيب سابق الروم وسليمان سابق الفرس وبلال سابق الحبشة وقال: نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه. وقد كان أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمزحون حتى بحضرتة، وكذلك من بعدهم من التابعين والعلماء والائمة. ونحن ذاكرون من مزحهم نبذة: روى البخاري عن بكر بن عبد الله المزني: كان أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عليه وسلّم يتبادحون بالبطيخ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال. وسئل النخعي: هل كان أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يضحكون؟ قال: نعم والايامن في قلوبهم مثل الجبال الرواسي.

وعن يحيى ابن أبي كثير قال: كان رجل من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ضحاکا، فذكر ذلك النبي صلّى الله عليه وسلّم كأهم يعيرون ذلك، فقال النبي عليه السلام: أَنَّى تَعَجُّبُونَ إِنَّهُ لَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَهُوَ يَضْحَكُ.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلي عن أبيه قال: كان أسيد بن حضير رجلا ضحاکا مليحا، فبينما هو عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يحدث القوم ويضحكهم فطعن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بأصبعه في خاصرته فقال: أوجعتني قال: اقتصّ قال: يا رسول الله إِنَّ عَلَيْكَ قَمِيصاً ولم يكن عليّ قميص، فرفع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قميصه فاحتضنه ثم جعل يقبل كَشَحَّه فقال: بَأبي وأمي يا رسول الله أردت هذا.

وفي ذكره أنه القائل لما رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم متغير الوجه ومنحرفا أو مغضبا: لأضحكنه ثم قال: يا رسول الله إن الدجال يأتي الناس في حال قَحَطٍ وضيقٍ ومعه جبالٌ من ترديد أفرأيت إن أدركت زمانه أن أضرب على ثريده حتى إذا تبطنت منه آمنت بالله وكفرت به أم أتتره عن طعامه؟ فضحك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم - وكان ضحكه التبسم - وقال: بَلْ يُغْنِيكَ اللهُ تَعَالَى يَوْمَئِذٍ بِمَا يُغْنِي الْمُؤْمِنِينَ.

وروى عبد الله بن وهب قال: قال الليث في حديث عبد الله بن حذافة صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إنه كانت فيه دعاة قال: بلغني أنه حل حزام راحلة النبي في بعض أسفاره حتى كاد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يقع قلت لليث: ليضحكه ذلك؟ قال: نعم.

وعن عثمان بن نائل مولى عثمان بن عفان عن أبيه قال: خرجت مع مولاي عثمان في سفرة سافرناها مع عمر في حج أو عمرة، وكان عمر وعثمان وابن عمر أيضا، وكنت وابن عباس وابن الزبير في شبان معنا أيضا، ومعنا رباح بن المعترف الفهري، فكنا نترامى بالحنظل وكان عمر يقول لنا: لا تُنْفَرُوا علينا ركابنا قال: فقلنا ذات ليلة: احدٌ لنا قال: مع عمر؟ قلنا: احدٌ فإن هناك فانته قال: حتى إذا كان السحر قال له عمر: كُفَّ فَإِنَّ هَذِهِ سَاعَةٌ ذَكَرٍ، فلما كانت الليلة الثانية قلنا: يا رباح انصب لنا نصب العرب قال: مع عمر؟ قلنا انصب فإن هناك فانته، فنصب لنا نصب العرب حتى إذا كان السحر قال له عمر: كُفَّ فَإِنَّ هَذِهِ سَاعَةٌ ذَكَرٍ، فلما كانت الليلة الثالثة قلنا: يا رباح غَنَّنَا غِنَاءَ الْقِيَانِ قال: مع عمر؟ قلنا غَنَّنَا فَإِنَّ هُنَاكَ فانته قال: فغني، فوالله تركه أن قال له: كُفَّ فَإِنَّ هَذَا يُنْفِرُ الْقُلُوبَ.

وعن ابن أبي نجيح عن أبيه قال: قال عمر بن الخطاب إني ليعجبني أن يكون الرجل في أهله مثل الصبي فإذا بُغِيَ منه حاجة وُجد رجلاً. ونظر عمر بن الخطاب إلى أعرابي يصلي صلاة خفيفة فلما قضاها قل: اللهم زوجني بالخور العين فقال عمر: أسأت النقد وأعظمت الخطبة. وعن أبي بكر أن أعرابيا وقف على عمر بن الخطاب فقال:

أُكْسُ بُيَاتِي وَأُمَّهُنَّ

يا عمرَ الخيرِ جُرِيتَ الجَنه

أُقْسِمُ بِاللَّهِ لَتَفْعَلَنَّهُ

وكن لنا من الزمان جُنَّه

فقال عمر: وإن لم أفعل يكون ماذا؟ فقال: إذا أبا حفصٍ لامضيته قال: فإن مضيتَ يكون ماذا؟ فقال:

يوم تكون الاعطيات منه

والله عنهنَّ لُتُسألنَّه

إِما إلى نارٍ وإِما جَنَّه

وموقفُ المسؤُولِ بينهنَّه

فبكى عمر حتى احضلت لحيته ثم قال لعلامة: يا غلام أعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لشعره ثم قال: والله لا أملك غيره.

وعن ربيعة بن عثمان قال: دخل أعرابي على رسول الله عليه وأناخ ناقته بنفائه، فقال بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم للنعيان الانصاري: لو عقرتها فأكلناها فإننا قد قرمنا إلى اللحم ويغرم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فعقره النعيان فخرج الأعرابي فرأى راحلته فصاح: واعقره يا محمد، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: من فعل هذا؟ فقيل: النعيان فاتبعه يسأل عنه حتى وجدته في دار ضباعة ابنة الزبير بن عبد المطلب وقد حفرت خنادق وعليها جريد، فدخل النعيان في بعضها، فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عنه فأشار إليه رجلٌ ورفع صوته يقول: ما رأيته يا رسول الله وأشار بأصبعه حيث هو قال: فأخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سقط على وجهه السعف وتغير وجهه فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: الذين دلوك علي يا رسول الله هم الذين أمروني قال: فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح وجهه ويضحك قال: ثم غرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم للأعرابي.

قال عبد الله بن مصعب: كان مخزومة بن نوفل بن أهيب الزهري بالمدينة وهو شيخ كبير أعمى، وكان قد بلغ مائة وخمس عشرة سنة، فقام يوما في المسجد يريد أن يبول فصاح به الناس فأثاه نعيان ابن عمرو ابن رباعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار فتنحى به ناحية من المسجد ثم قال له: اجلس ها هنا، فأجلسه يبول ثم تركه، فصاح به الناس، فلما فرغ قال: من جاء بي إلى هذا المجلس؟

قالوا: نعيمان بن عمرو قال: فعل الله به وفعل أما إن الله عليّ إن ظفرت به أن أضربه بعصاي هذه ضربةً تبلغ منه ما بلغت، فمكث ما شاء الله حتى نسي ذلك مخزومة ثم أتاه يوماً وعثمان قائم يصلي في ناحية من المسجد، وكان عثمان إذا صلى لا يلتفت فقال له: هل لك في نعيمان؟ فقال: نعم أين هو؟ دُلّني عليه، فأُتِيَ به حتى أوقفه على عثمان فقال: دونك هذا هو، فجمع مخزومة يديه بعصاه فضرب عثمان فشجّه فقيل له: إنما ضربتَ أمير المؤمنين عثمان قال: فسمعت بذلك بنو زهرة فاجتمعوا في ذلك فقال عثمان: دعوا نعيمان، لعن الله نعيمان: وروي أن مخزومة قال: من قادي؟ قيل نعيمان قال: لا جرم لا عرّضت له بشرّاً أبداً. وقد شهد نعيمان بن عمرو بدرًا.

وعن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه قال: كان بالمدينة رجل يقال له نعيمان يصيب الشراب فكان يؤتي به إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيضربه بنعليه ويأمر أصحابه فيضربونه بنعالهم ويحشون عليه التراب، فلما كثر ذلك منه قال له رجل من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لعنك الله فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تفعل فإنه يحبُّ الله ورسوله.

قال: وكان لا يدخل المدينة رُسل ولا طُرفةً إلا اشترى منها ثم جاء به إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله هذا أهديته لك، فإذا جاء صاحبه يطلب نعيمان بثمنه جاء به إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله أعطِ هذا ثمن متاعه فيقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أو لم تُهدده لي فيقول: يا رسول الله إنه لم يكن عندي ثمنه ولقد أحببت أن تأكله فيضحك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويأمر لصاحبه بثمنه.

وروي أنه أهدى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جرة غسل اشتراها من أعراي بدينار، وأتى بالأعراي باب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: خذ الثمن من ها هنا، فلما قسمها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نادى الأعراي: ألا أعطني ثمن عسلي فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إحدى هنات نعيمان: وسأله كم فعلت هذا؟ قال: أردت برك ولم يكن معي شيء، فتبسّم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأعطى الأعراي حقه. وشكى عيينة بن حصن إلى نعيمان صعوبة الصيام فقال: صُمّ الليل فُروي أنه دخل عيينة على عثمان وهو يفطر في شهر رمضان فقال: العشاء فقال: أنا صائم فقال عثمان: الصوم بالليل؟ فقال: هو أخف عليّ إن عثمان قال: إحدى هنات نعيمان.

وعن أم سلمة زوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: خرج أبو بكر الصديق قبل وفاة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعام في تجارة إلى بصرى، ومعه نعيمان بن عمرو الانصاري وسليط بن حرملة وهما ممن شهد بدرًا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وكان سليط بن حرملة على الزاد، وكان نعيمان بن عمرو

مزاحاً فقال لسليط: أطمعني قال: لا أطمعك حتى يأتي أبو بكر، فقال نعيمان لسليط: لأغيطنك، فمروا بقوم فقال لهم نعيمان: تشترون مني عبداً لي؟ قالوا: نعم قال: فإنه عبدٌ له كلام وهو قائل لكم: لست بعبده، أنا ابن عمه. فإن كان إذا قال لكم هذا تركتموه فلا تشتروه ولا تفسدوا علي عبدي، قالوا: لا بل نشترى ولا ننظر في قوله، فاشتروه منه بعشر قلائص، ثم جاؤه ليأخذوه فامتنع منهم، فوضعوا في عنقه عمامةً فقال لهم: إنه يتهزأ ولست بعبده فقالوا: قد أخبرنا خيرك ولم يسمعوا كلامه، فجاء أبو بكر رضى الله عنه فأخبروه فاتبع القوم فأخبرهم أنه يمزح، ورد عليهم القلائص وأخذ سليطاً منهم. فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر فضحك من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولاً. وعن عائشة رضى الله عنها أن امرأة كانت بمكة تدخل على النساء قريش تضحكن، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسع الله دخلت المدينة قالت عائشة: فدخلت علي فقلت لها: فلانة ما أقدمك؟ قالت: إيلكن قالت: فأين نزلت؟ قالت: علي فلانة امرأة كانت تضحك النساء بالمدينة، قالت عائشة: ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: فلانة؟ فقالت عائشة: نعم فقال: علي من نزلت؟ قالت: علي فلانة المضحكة فقال: الحمد لله الأرواح جنودٌ مجنونةٌ فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.

وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه: لا بأس بالمفاكهة يخرج بها الرجل عن حد العُبوس، وعن بكر بن أبي محمد قال: أهدى الجوس لعلي بن أبي طالب فالوذجاً فقال علي: ما هذا؟ فقيل له: اليوم النيروز فقال علي: ليكن كل يوم نيروزاً، وأكل. وفي رواية قيل له: اليوم المهرجان فقال: مهرجوننا كل يوم هكذا. وعن عمرو بن دينار عن محمد بن علي قال: طرحت لعلي بن أبي طالب وسادة فجلس عليها وقال: لا يأبي الكرامة إلا حمار. وأتى رجل علي بن أبي طالب فقال: ابني احتملت علي أُمي فقال: أقيموه في الشمس واضربوا ظلَّة الحدِّ، وفي رواية أن رجلاً أتاه برجلٍ فقال: إن هذا زعم أنه احتلم علي أُمي فقال: أقمه في الشمس فاضرب ظلَّه.

وروي عن أبي الدرداء أنه كان لا يتحدث إلا وهو يتبسم فقالت له امرأته أم الدرداء: إني أخاف أن يرى الناس أنك أحق فقال: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حدث حديثاً إلا وهو يتبسم في حديثه. وكان ابن عباس إذا أكثر عليه في مسائل القرآن والحديث يقول: أحضوا يريد خذوا في الشعر وأخبار العرب.

وروى الاعمش عن أبي وائل أنه قال: مضيت مع صاحب لي نزور سلمان، فقدم إلينا خبز شعير وملحاً جريشاً فقال صاحبي: لو كان في هذا الملح سَعتر كان أطيب أي فأحضره لنا، فلما أكلنا قال صاحبي: الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا فقال سليمان: لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونةً.

وعن أبي الحويرث المرادي قال: سار عمر ومعه الزبير بن العوام، فلما مرَّ عمر بمحسر ضرب فيه راحلته حتى قطعه وهو يرتجز:

مخالفاً دينَ النصرى دينها

إليك تعدو قَلْقاً وَضِينها

قد ذهب الشحمُ الذي يزيئها

معترضاً في بطنها جَنِينها

قال: وسابق عمر الزبير براحلته فجعل عمر إذا بدَّت راحلته راحلة الزبير يقول: سبقتك ورب الكعبة. وجعل الزبير إذا بدَّت راحلته راحلة عمر يقول: سبقتك ورب الكعبة. وعن خارجة بن زيد قال: خرج عبد الله بن عمر وعبد الله بن عيَّاش بن أبي ربيعة من المسجد، فلما كانا على بابهِ وقد أحفيا شواربهما حتى بدت الشفاه كشف كل واحد منهما ثيابه حتى بدت ساقاه وقال لصاحبه: ما عندك خير، هل لك أن أسابقك؟ وعن حميد بن قيس قال: ورد عبد الله بن عمر مآء عسفان، وكان مولى لمعاوية عاملاً على عسفان، فجاء إلى ابن عمر فسلم عليه وقال له: والله إني لأحبك في الله فقال له ابن عمر: والله إني لا بغض ضرب وجهك، فتكعكع وقال: غفر الله لك يا أبا عبد الرحمن، قال: ما شأنني؟ وجعل ابن عمر يضحك فقال له قائل: إنما يقول لك أكره ضربه. عن عبيد الله بن خالد بن أبي بكر بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه قال: حدثني حمزة بن عبد الله بن عمر قال: كنت أحسن من نفسي بحسن صوت وكان صوت سالم بن عبد الله كُرغَاء البعير فقلت له: أنا أحسن منك صوتاً فقال عبد الله بن عمر: احدياً حتى أسمع فغنينا غناء الرُّكبان فقلت لأبي أئنا أحسن صوتاً؟ فقال: أنتما كحماري العبادي. قيل: وكان عبد الله بن عمر أبعد الناس عن الرَّفث، فأتاه ابن أبي عتيق يوماً وكان ذا فُكاهة ومزاح وفي يده رقعة فيها:

في كل مُومِسةٍ وفي الخمرِ

أذهبت مالكَ غيرَ مُتْرِكٍ

وبقيت وحدك غيرَ ذي وَفْرِ

ذهب الإله بما تعيش به

وكانت زوجة ابن أبي عتيق عاتكة بنت عبد الرحمن المخزومية قد هجته بما فقال: يا أبا عبد الرحمن انظر هذه الرقعة وأشر علي برأيك فيمن هجاني بما فيها، فلما قرأها عبد الله استرجع وقال له: أرى لك أن تعفو وتصفح، فقال له: أنا والله يا أبا عبد الرحمن أرى غير ذلك قال: ما هو؟ قال: أفعلُ به لا يكفي، فقال له عبد الله بن عمر: سبحان الله ما تتركُ الهزل وأرعد وأبرق فقال: هو والله ما أخبرتك، فاقترقا، ثم لَقِبَهُ ابن أبي عتيق بعد ما ظنَّ أن ابن عمر نسي ذلك فقال له: أتدري بذلك الإنسان؟ قال: أيِّ إنسانٍ؟

قال الذي أَعَلَمْتُكَ أَنَّهُ هَجَانِي قَالَ: مَا فَعَلْتَ بِهِ؟ قَالَ: كُلُّ مَمْلُوكٍ لَهُ فَهُوَ حُرٌّ إِنْ لَمْ أَكُنْ فَعَلْتُ بِهِ، لَا يَكْفِي، فَأَعْظَمُ ذَلِكَ ابْنُ عُمَرَ فَقَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ: امْرَأَتِي الَّتِي قَالَتْهُ، فُسِّرِي عَنْ ابْنِ عُمَرَ وَقَامَ وَهُوَ يَضْحَكُ: وَقَالَ لَهُ: أَحْسَنْتَ فَرَدْنَا مِنْ هَذَا الْإِدْبِ. وَابْنُ أَبِي عَتِيقٍ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعن عبيد الله بن خالد المذكور عن أبيه عن نافع مولى عبد الله ابن عمر قال: كان عبد الله بن عمر يمازح مولاهً فيقول لها: خلقتي خالق الكرام، وخلقك خالق اللثام، فتغضب وتصيح وتبكي ويضحك عبد الله بن عمر.

وعن عبد الله كثير بن جعفر قال: اقتتل غلمان عبد الله بن عباس وغلمان عائشة، فأخبرت عائشة بذلك فخرجت في هودج لها على بغلة لها، فلقيها أن غلماني وغلمان ابن عباس اقتتلوا فركبت لاصح بينهم، فقال: يعتق ما يملك إن لم ترجعي فقالت: ما حملك على هذا؟ قال: ما انقضى عنا يوم الجمل حتى تريد أن تأتينا بيوم البغلة؟ وعن أم قثم بنت العباس قالت: دخل علينا علي ونحن نلعب باربعة عشر قالت: وكنا صبيناً فأحببنا أن نتلها بها، فقال علي: ألا أشتري لكن جوزاً بدرهم فتلعبن به وتركن هذه؟ قالت: فاشترى لنا بدرهم جوزاً فلعبنا به وتركنا الاربعة عشر.

وعن عبد الله بن عمير الليثي قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن زوجي لا يصلي صلاة الغداة، ويأتيها وهي صائمة، ويضربها إذا قرأت القرآن فقال: ادعيه إلي فجاءت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ان هذه تزعم أنك لا تصلي الغداة، وأنك تأتيها وهي صائمة، وتضربها إذا قرأت القرآن قال: صدقت، فهم رسول الله أن يلعبه ثم استتابه، وكان صلى الله عليه وسلم حليماً فقال له: لم تفعل ذلك؟ قال: يا رسول الله إني من أهل بيت معروف لهم النوم فأنا أتشدد للصلوات حتى إذا أخذت مضجعي فإني أتعالجني بكل ما عولج به إنسان فما أستيقظ إلا بحر الشمس قال: أما إذا استيقظت فصله قال: فلم تأتيها وهي صائمة؟ فقال: يا رسول الله أنا رجل شاب وهي امرأة تصوم فلا تفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تصومي تطوعاً إلا بإذنه، وإذا أذنت لها فلا تقرها قال: فلم تضربها إذا قرأت القرآن؟ قال: تقرأ بسورة واحدة من كتاب الله تولى بتلك السورة فتقرأها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: تلك السورة لو قسمت بين الناس وسعتهم.

وعن أبي سفيان بن حرب أنه سمع يمازح النبي صلى الله عليه وسلم في بيت بنته أم حبيبة ويقول: والله إن هو إلا أن تركتك فتركتك العرب ان انتطحت فيك جماء ولا ذات قرن ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك.

وعن عطاء بن يسار أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يوماً وهو يحدث وفيمن عنده رجل من أهل البادية فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: أَوَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى وَلَكِنْ أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ قَالَ: فَيَقُولُ اللهُ: فَلْيَزْرَعْ قَالَ: فَيَبْدُرُ حَبَّهُ فَيَبَادِرُ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتَوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ وَيَكُونُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ قَالَ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: دُونَكَ بُنِي آدَمَ فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ قَالَ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ وَاللهِ لَا تَجِدُهُ إِلَّا قَرِيشًا أَوْ أَنْصَارِيًّا فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ الزَّرْعِ، فَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِهِ قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وعن عبد الله بن سرجس قال: أتى الضحَّك بن سفيان الكلَّابي إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل بيعته ثم قال: عندي امرأتان أحسن من هذه الحُميراء أفلا أنزل لك عن إحداهما فتتزوجها؟ وعائشة جالسة تسمع قبل أن يُضْرَبَ الْحِجَابَ فقالت: أهي أحسن أم أنت؟ قال: بل أنا أحسن منها وأكرم، وكان امرءاً دَمِيمًا قَبِيحًا قَالَ: فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَسْأَلَةِ عَائِشَةَ إِيَّاهُ.

وعن عوف بن مالك الأشجعي قال: أتيتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمَ فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ عَلَيَّ وَقَالَ: أَدْخُلْ فَقُلْتُ: أَكُلِّي يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: كُلُّكَ فَدَخَلْتُ. قِيلَ: إِنَّمَا قَالَ: أَدْخُلْ كَلِّي مِنْ صَعْرِ الْقَبَةِ.

وعن عبد الله بن رواحة أنه كان له جارية فاهتمته امرأته أن يكون أصابها فقالت: إنك الان جُنُبٌ مِنْهَا، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ فَقَالَتْ: فَإِنْ كُنْتُ صَادِقًا فَاقْرَأِ الْقُرْآنَ وَقَدْ عَهَدْتَهُ لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ جُنُبٌ فَقَالَ:

شهدت بأن دين الله حقٌ
وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طافٍ
وفوق العرش ربُّ العالمينا
وتحملة ثمانية شدادٍ
ملائكة الإله مسومينا

وروي هذا الاثر على وجه آخر وهو أن عبد الله بن رواحة كان مضطجعاً إلى جنب امرأته فلم تجده في مضجعه، فقامت فخرجت فرأته على جاريته، فرجعت إلى البيت فأخذت الشفرة ثم خرجت وفرغ فقام فلقيها تحمل الشفرة فقال: مهيم قالت: لو أدركتكَ حيث رأيتكَ لَوَجَّأت بين كتفيك بهذه الشفرة قال: وأين رأيتني؟ قالت: رأيتك على الجارية قال: ما رأيتني وقد نهانا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقْرَأَ أَحَدُنَا الْقُرْآنَ وَهُوَ جُنُبٌ قَالَتْ: فَاقْرَأْ فَقَالَ:

أتانا رسول الله يتلو كتابه
كما لاح مشهورٌ من الفجر ساطع
أتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا
به موقناتٌ أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه
إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

فقالت: آمنت بالله وكذّبت بصري، ثم غدا عَلى إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره فضحك حتى بدت نواجذُه.

وعلى وجه آخر وهو أن عبد الله بن رواحة كانت له امرأة وكان يتقيها، وكانت له جارية فوقع عليها فقالت وفَرِقت أن يكون قد فعل فقال: سبحان الله فقالت: اقرأ عَلى فإنك جُنُبٌ، فقال:

شهدت بإذن الله أن محمداً رسول الذي فوق السموات من عَلى
وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما له عملٌ من ربه متقبَّلٌ

وعن عبد الله بن نافع بن ثابت قال: جلس ابن أبي عتيق مع أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم مجلس القضاء فخاصمت امرأة إلى أبي بكر متنقبة لها عين حسنة حوراء، فأقبل أبو بكر على ابن أبي عتيق فقال: ما تقول في أمر هذه؟ فقال: لها عينٌ مظلومة، إلى أن طالت بهما الخصومة وأدَلَقَتَهَا، فكشف وجهها فإذا أنفها ضخمة قبيح فقال له أبو بكر ما تقول في أمرها؟ فقال: لها أنف ظالمة، وأبو بكر ابن محمد إذا ذاك يلي عمل المدينة وقضآءها.

وحدث محمد بن الضحاك بن عثمان الحزامي وغيره أن ابن أبي عتيق وفد على الملك بن مروان فلقي حاجبه فسأله أن يستأذن له عليه، فسأله الحاجب ما نزعته؟ فذكر ديناً قد مسّه، فاستأذن له، فأمر عبد الملك بإدخاله، فأدخله وعند رأس عبد الملك ورجليه جاريتان وضيئتان، فسلمّ وجلس فقال له عبد الملك: ما حاجتك؟ قال: مالي حاجة إليك قال: ألم يذكر لي الحاجب أنك شكوت إليه ديناً عليك وسألته ذكر ذلك لي؟ قال: ما فعلتُ وما عَلى دينٍ وإني لأيسر منك قال: انصرف راشداً فقام ودعا عبدُ الملك الحاجبَ فقال له: ألم تذكر لي ما شكَا إليك ابن أبي عَتيق من الدين؟ قال: بلى قال: فإنه أنكر ذلك، فخرج إليه الحاجب فقال: ألم تشكُ إليّ دينك وذكرتك أنك خرجت إلى أمير المؤمنين فيه وسألته ذكره؟ قال له: بلى قال: فما حملك عَلى إنكار ذلك عند أمير المؤمنين؟ قال ابن أبي عَتيق: دخلت عليه وقد جلس الشمس عند رأسه، والقمر عند رجله ثم قال لي: كن سألًا، والله ما كان الله لي يرى هذا أبداً، فدخل الحاجب عَلى عبد الملك فأخبره خبره فضحك ووهب الجاريتين له وقضى دينه ووصله وكان سببَ الأُنس بينه وبين عبد الملك.

وعن عمرو بن دينار عن ابن أبي عتيق أنه مرَّ به رجل ومعه كلب فقال للرجل: ما اسمك؟ قال: وثّاب قال: فما اسم كلبك؟ قال: عمرو فقال: واخلافاه.

وعن يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى بن حيان قال: قلت لامرأتي: أنا وأنتِ عَلى قضآء عمر بن الخطاب قالت: وما قضآء عمر؟ قلت: قضآؤه إذا أصاب الرجلُ امرأته عند كل طهر فقد أدّى حقها قالت: أنا

أول من ردّ قضاء عمر. وفي رواية عنه عاتبت جدّي جدّي في قلة الباه فقال لها: بيني وبينك قضاء عمر بن الخطاب قالت: وما قضاء عمر؟ قال قضى أن الرجل إذا أتى امرأته في كل طهر مرة فقد أدى لها حقّها قالت له: أفكل الناس ترك قضاء عمر بن الخطاب ولم يأخذ به غيري وغيرك؟. وحكى رجل قال: دخلنا على ابن سيرين وهو يصلي، فظنّ أنا عجبنا لصلاته، فلما انصرف من الصلاة أخذ في حديث الصبيان، فظننا أنه أراد أن يُورّي عن الصلاة.

وعن عطاء بن السائب: كان سعيد بن جبير يقصّ علينا حتى ييكنينا، وربما لم يقم حتى يضحكنا. وقيل إن عمر بن عبد العزيز لم يمزح بعد الخلافة إلاّ مرّتين: إحداهما أن عدي بن أرطاة كتب إليه يستأذنه في أن يتزوّج ابنة أسماء ابن خارجة فكتب إليه عمر: أمّا بعد فقد أتاني كتابك تستأذن في هند: فإن تكّ قوّة فأهلك الأولون أحقّ بك وبها، وإن يكّ بك ضعف، فأهلك الأولون أعذر لك ولكن الفزاريّ والسلام. يريد بذلك قول الشاعر:

إن الفزاريّ لا ينفكّ مغتلماً
من التواكّة تهادراً بتهدار

وأما الثانية فإن رجلاً من أهل أمّج هجاه ابن عم له فقال:

حميدُ الذي أمّج داره
أخو الخمر ذو الشبيّة الاصلع

فقدم حميد بعد ذلك على عمر ولم يعرفه عمر فقال له: من أنت؟ فقال: أنا حميد فقال: حميدُ الذي أمّج داره؟ فقال: والله ما شربتها منذ عشرين سنة فقال: صدقت وإنما أردت أن أبسطك وجعل يعتذر إليه. وسأل رجل الشّعي عن المسح على اللحية فقال: خلّلتها بأصابعك فقال: أخاف ألاّ تبّلّها قال الشّعي: إن خفت فانقعها من أوّل الليل.

وسأله آخر: هل يجوز للمحرم أن يحكّ بدنه؟ قال: نعم قال: مقدار كم؟ قال: حتى ييدو العظم. وروى في حديث النبي صلّى الله عليه وسلّم: تَسَحَّرُوا وَلَوْ بِأَنْ يَضَعَ أَحَدُكُمْ أَصْبَعَهُ عَلَى التُّرَابِ ثُمَّ يَضَعَهَا فِي فِيهِ، فقال رجل: أيّ الأصابع؟ فتناول الشّعي إبهام رجله وقال: هذه. وسئل عن أكل لحم الشيطان فقال: نحن نرضى منه بالكفاف. وقال له رجل: ما اسم امرأة إبليس؟ فقال: ذاك نكاح ما شهدناه.

وروي أن خياطاً مرّ بالشّعي وهو مع امرأة في المسجد فقال: أيكما الشّعي؟ فقال مشيراً إليها: هذه. وعن محمد بن القاسم قال: قال الاعمش لجليس له: أما تشتهي بناني زُرق العيون بيض البطون سود الظهور وأرغفة باردة لينة وخلاًّ حاذقاً؟ قال: بلى قال: فاهض بنا قال الرجل: فنهضت معه فدخل منزله وقال جرّتيك السلّة قال: فكشطها فإذا فيها رغيفان يابسان وسُكَّرجة كامخ شُبّت قال فجعل يأكل

وقال: كُلُّ فقلت: أين السمك؟ فقال: ما عندي سمك إنما قلت تشتيه؟ وحجّ الاعمش فلما أحرم لاحاه الجمال في شيء فرفع عكازه فشجه بما فليل له: يا أبا محمد وأنت مُحرم؟ فقال: إن من تمام الحجّ شجّ الجمال.

وقال ابن عياش: رأيت على الاعمش فروة مقلوبة صوفها إلى خارج، فأصابنا مطر فمررنا على كلب ففتحى الاعمش وقال: لا يحسبنا شاة.

ووقع بين الاعمش وامرأته وحشة فسأل بعض أصحابه ويقال: إنه أبو حنيفة أن يصلح بينهما فقال: هذا سيدنا وشيخنا أبو محمد فلا يهدئك فيه عمش عيني، وحموشة ساقيه، وضعف ركبتيه، وقزل رجله وجعل يصف فقال الاعمش: قم عنا قبحك الله فقد ذكرت لها من عيوي ما لم تكن تعرفه.

قال الربيع: دخلت على الشافعي وهو مريض فقلت: قوى الله ضعفك فقال: لو قوى ضعفي قتلتني قلت: والله ما أردت إلا الخير قال: أعلم أنك لو شتمتني لم تُرد إلا الخير. قلت: وقد جاء في الدعاء عن النبي صلى الله عليه وسلم: وَقَوِّ فِي رِضَاكَ ضَعْفِي وَإِنَّمَا أَرَادَ الشَّافِعِيُّ مَبَاسِطَةَ الرَّبِيعِ وَإِنْ كَانَ دَعَاؤُهُ صَحِيحاً وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ولما كان الشافعي نازلاً عند الزعفراني ببغداد وقد حكه في كل ما يملك، وكان الزعفراني يكتب كل رقعة بما يطبخ من الألوان ويسلمها إلى الجارية، فأخذ الشافعي الرقعة في بعض الأيام وألحق فيها لونا آخر بخطه، فلما رأى الزعفراني ذلك اللون أنكره وقال: ما أمرت بهذا فعرضت عليه الجارية خط الشافعي ملحقاً بالرقعة، فلما وقعت عينه عليه فرح بذلك وأعتق الجارية سروراً باقتراح الشافعي عليه.

وجاء رجل إلى أبي حنيفة فقال له: إذا نزع ثيابي ودخلت النهر أغتسل في القبلة أتوجه أم إلى غيرها؟ فقال له: الأفضل أن يكوم وجهك إلى جهة ثيابك لئلا تُسرق.

قال عثمان الصيدلاني: شهدت إبراهيم الحربي وقد أتاه حائك في يوم عيد فقال: يا أبا إسحاق ما تقول في رجل صلى صلاة العيد ولم يشتر ناطفاً ما الذي يجب عليه؟ فتبسم إبراهيم ثم قال: يتصدق بدرهمين فلما مضى قال: ما علينا أن تفرح المساكين من مال هذا الأحمق.

وأقر رجل عند القاضي شريح بشيء ثم ذهب لينكر فقال شريح: قد شهد عليك ابن أخت حالتك ومرّ شريح بمجلس بهمدان فسلم فردوا عليه وقاموا ورحبوا به فقال: يا معشر همدان إني لأعرف أهل بيت منكم لا يحلّ لهم الكذب فقالوا: من هم يا أبا أمية؟ فقال: ما أنا بالذي يخبركم فجعلوا يسألونه وتبعوه ميلاً أو قريباً منه ويقولون له: من هم؟ وهو يقول: لا أخبركم فانصرفوا عنه يتلهفون: ليتنا أخبرنا بهم. وحكى عن أبي صالح بن حسان وكان محدثاً أنه قال يوماً لأصحابه مازحاً: أفتقه الناس وضاح اليمن في قوله:

وقالت معاذَ الله من فعل ما حُرِّم

إذا قلتُ هاتي نَوَلِيَّي تَبَرَّمت

وأنبأها ما رَخَّصَ اللهُ في اللَّمَم

فما نَوَلَّتْ حتى تَضَرَّعتُ عندها

وإذا خرج المزح إلى حدِّ الخلاعة فهو هُجْنَةٌ ومَدْمَةٌ. ومما عُدَّ منه ما حكي عن أبي معاوية الضرير وكان محدثاً أنه خرج يوماً إلى أصحابه وهو يقول:

فارمها بالمنجنيق

فإذا المعدة جاشت

ليس بالحلو الرقيق

بثلاث من نبيذ

أما ترى كيف طرق بخلاعه التهمة إلى نفسه بهذا المزح بما لعله بريء من وبعيد عنه؟ وقد كان أبو هريرة مسترسلاً في مزحه، فحكى ابن قتيبة في المعارف أن مروان ربما كان يستخلفه على المدينة فيركب حماراً قد شدَّ ليه بردعة فيسير فيلقى الرجل فيقول: الطريق قد جاء الأمير، وربما أتى الصبيان وهم يلعبون لعبة الأعراب فلا يشعرون حتى يلقي نفسه بينهم ويضرب برجليه فيفزع الصبيان فيتفرقون: قال الماوردي: وهذا خروج عن القدر المستسمح به فيوشك أن يكون بهذا الفعل منه تأويل سائغ. ومن مستحسن المزح ومستسمح الدُّعابة ما حكي عن الإمام القشيري أنه وقف عليه شيخ من الأعراب فقال له: يا أعرابي ممن أنت؟ فقال: من بني عَقِيلِ فقال: من إي عَقِيلِ؟ قال من بني خَفَاجَةَ فقال القشيري:

رأيتُ شيخاً من بني خَفَاجَةَ

فقال الأعرابي: ما شأنه؟ فقال:

له إذا جنَّ الظلامُ حاجَه

فقال الأعرابي: ما هي؟ قال:

كحاجة الدَّيِّكِ إلى الدَّجاجةِ

فأستغرب الأعرابي وقال: قاتلك الله ما أعرفك بسرِّائر القوم. فانظر كيف بلغ بهذا المزج غايته ولسانه وعرضه مصون، وهذا ما ذكرناه فيما مر هو غاية ما يتسامح به الفضلاء من الخلاعة وإن كان مستنكر الفحوى وليحذر من أن يسترسل في مزاح عدوة فيجعل له طريقاً إلى إعلان المساوية هزلاً وهو مجذ، ويفسح له في التشفي مزحاً وهو محق وانظر مزاح الخليفة المستعصم وقوله لوزيره العلقمي لما خرَّب أصحاب ولده الكرخ في لعبة الحمام مع ولد الوزير:

دع الدُّنيا بلا كَرخ

فخرج مغضبا وقال: دع الدنيا بلا بغداد فلما سمع ذلك تلافى شأنه معه وقال: كنت أمزح فأظهر الرضى ثم سعى في إحضار التتار إلى بغداد حتى جرى ما هو مشهور في بغداد وقتل الخليفة وأصحابه ولا حول ولا قوة إلا بالله والقصة مشهورة.

فالعاقل يربأ بنفسه عن سفاسف الأمور وعن مخالطة السفلة ومزاحهم مطلقا، وكذلك عن مزاح من هو أكبر منه لما ذكرنا من الحقد وخرق الحرمة، ولا بأس به بين الإخوان بما لا أذى فيه ولا ضرر ولا غيبة ولا شين في عرض أو دين، قاصدا به حسن العشرة والتواضع للإخوان والانبساط معهم ودفع الحشمة بينهم من غير استهتار أو إخلال بمروءة أو نحوه استنقاص بأحد منهم، فقد قيل للخليل بن أحمد إنك تمزح الناس فقال: الناس في سجن ما لم يتمازحوا، وفي الاقتداء بمن ذكر والاقتفاء بآثارهم أعظم بركة، وفي الخروج عن ذلك الحد أشد عناء وأبلغ هلكة، وخير الأمور أوساطها.

وما مزاح الرجل مع أهله وملاطفتهم بأنواع الملاطفة فمن شعار المرسلين، وأخلاق النبيين، وهو من المعاشرة بالمعروف وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لعائشة كنت لك كأبي زرع لأم زرع وقال أنس: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرحم النَّاسِ بالنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ قال الغزالي: وأعلى من ذلك أن يزيد عَلِيٌّ ما ذكر ذكر باحتمال الاذى منهنّ، والحلم عند طيشهن وغضبهن.

فقد كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمزح معهنّ، ويتزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق كما مضى بعض ذلك، وقد كنّ يراجعنه عليه السلام الكلام وتمجره إحداهن إلى الليل وراجعت امرأة عمر عمر في الكلام فقال: أتراجعيني يالكأع؟ فقالت: إن أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يراجعنه وهو خير منك فقال عمر: خابت حَفْصَةُ وخسرت، أي إن راجعته ثم قال لحفصة: لا تغتري بابنة أبي قُحَافَةَ "يعني عائشة" فَإِنَّمَا حَبُّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَوْفُهَا مِنَ الْمَرَاةِ.

ودفعت إحداهن في صدر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فزبرتها أمها فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعِيهَا فَإِنَّهُنَّ يَصْنَعْنَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ

وجرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخل أبا بكر حكما بينه وبينها، فقال لها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَكَلِّمِينَ أَنْتِ أَوْ أَتَكَلَّمُ؟ فقالت: بل تكلم أنت ولا تقل إلا حقا، فلطمها أبو بكر حتى أدمى فاهها وقال: أَوْ يَقُولِ غَيْرَ الْحَقِّ يَا عَدُوَّةَ نَفْسِهَا؟ فاستجارت برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقعدت خلف ظهره، فقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّا لَم نَدْعُكَ لِهَذَا أَوْ لَم نُرِدْ مِنْكَ هَذَا.

وقالت له مرة وقد غضبت: أنت الذي تزعم أنك نبي الله؟ فتبسم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واحتمل ذلك حلما وكرما، وكان يقول لها إِنِّي لِأَعْرِفُ إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي قالت:

وكيف تعرف ذلك؟ قال: إِذَا رَضِيتَ قُلْتَ لَا وَإِلَهُ مُحَمَّدٍ وَإِذَا غَضِبْتَ قُلْتَ لَا وَإِلَهُ إِبْرَاهِيمَ قَالَتْ: أَجَلْ
يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَهْجَرَ إِلَّا اسْمَكَ وَقَدْ أَلَمْتُ بِذَلِكَ فِي قَوْلِي:

قال حبيبي منك قد
عرفتُ وقت الغضبِ
عند الرضى تحلفُ بي
ومع سواه بأبي
فقلت لا أهجر إلا اس
مك يا معذبي

وقلت:

وقد نُبئتُ ليلي بأبي بغيرها
حلفتُ وأني للمحبة ناكثُ
ولم تدرِ أُنِي ما هجرتُ سوى اسمها
وأن هواها في فؤادي ماكثُ

وقلت:

وقد نُبئتُ أُنِي حلفتُ بغيرها
وأني لعقد الحبِّ فيها لفاسخُ
ولم تدرِ أُنِي ما هجرتُ سوى اسمها
وأن هواها في فؤادي راسخُ

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ صَبَرَ عَلَى سُوءِ خُلُقِ أُمْرَأَتِهِ أَعْطَاهُ اللهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ مَا أَعْطَى أَيُّوبَ عَلَى بَلَاءَتِهِ، وَمَنْ صَبَرَ عَلَى سُوءِ خُلُقِ زَوْجِهَا أَعْطَاهَا اللهُ مِثْلَ ثَوَابِ آسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَفِي الْخَبَرِ أَنَّهُ كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَفْكِهِ النَّاسَ مَعَ نِسَائِهِ وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: سَمِعْتُ أَصْوَاتَ أَنْاسٍ مِنَ الْحَيْشَةِ وَغَيْرِهِمْ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتُحِبِّينَ أَنْ تَرِي لِعَبِيهِمْ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَجَاؤُوا وَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْبَابَيْنِ، وَوَضَعَ كَفَّهُ عَلَى الْبَابِ وَمَدَّ يَدَهُ، وَوَضَعَتْ ذِقْنِي عَلَى ذِرَاعِهِ، وَجَعَلُوا يَلْعَبُونَ وَأَنْظَرَ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَسْبُكَ فَقُلْتُ: أُسْكِتُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عَائِشَةُ حَسْبُكَ الْآنَ فَقُلْتُ: نَعَمْ فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ فَانصرفوا.

وقال رسول الله: "أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَأَلْطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ".

وقال عليه السلام: خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي. وقال عمر رضى الله عنه: ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فإذا التمس ما عنده وجد رجلاً، ونقل نحوه عن لقمان بلفظ: ينبغي للعاقل أن يكون في أهله كالصبي فإذا كان في القوم وجد رجلاً وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجابر: فَهَلَّا بَكَرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ.

ووصفت أعرابية زوجها بعد موته فقالت: لقد كان والله ضحوكاً إذا ولج، سكوتاً إذا خرج، أكلاً ما وجد، غير سائل إذا فقد.

وعن عائشة فقالت: سمع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو عندي في يومي امرأةً تنشد لحسان بن ثابت، فقام على الباب فأخذ بعضادتي الباب ثم جعلت أنظر إليها بين أذنيه فقام طويلاً، ثم قال: حَسْبُ؟ فلم أقل نعم مرتين أو ثلاثاً ثم انصرف. قالت عائشة وأراد أن يرى مكاني منه وفعله بي.

عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كنت أَلْعِبُ بالبَنَاتِ فكنَّ صَوَاحِي يَأْتِينِي، فكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ وعن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل على عائشة وهي تلعب بالبَنَاتِ فقال لها: ما هذا يا عائشة؟ قالت: هذا حيل سليمان فجعل يضحك من قولها.

وعن أنس بن مالك قال: كانت صفيية مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفر وكان ذلك يوماً فأبطأت في السير فاستقبلها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي تبكي وتقول: حملتني على جمل بطيء، فجعل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمسح عينيها ويسكنها.

ويكفي في ذلك قوله تعالى "وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ".

وروى عبد الرحمن بن ميسرة أن رجلاً أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله الرجل يتزوج المرأة لا يعرفها ولا تعرفه فلا يكون إلا ليلة حتى لا يكون شيء أحب إليه منها وإليها منه فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تلك ألفة وتلا قوله تعالى: "وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً" وقد صنفت كتاباً لطيفاً آداب النكاح وما يتعين على الزوجين استعماله من كرم الأخلاق ومحاسن الشيم وغير ذلك، وجاء نظماً في ثلاثة آلاف بيت، وسميته "أسباب النجاح في آداب النكاح" وهو بديع في فنه، وقد كُملَ وبيّضَ بحمد الله منه.

قال الغزالي: وينبغي أن لا ينبسط في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواهن إلى حد يفسد خلقهم ويسقط هيئته بالكلية، بل يراعي الاعتدال في ذلك فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رأى منكراً، ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة، بل مهما رأى ما يخالف الشرع والمرؤة تنمر وامتنع. قال الحسن: والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كَبِهَ اللهُ في النار وقال عمر: خالفوا النساء فإن في خلافهن البركة، وقد قيل: شاوروهن وخالفوهن. وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَسَّ عَبْدُ الزَّوْجَةِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الله تعالى ملكه الزوجة فملكها نفسه، وسمى الرجال قوامين وسمى الزوج سيدياً فقد خالف مقتضى ذلك وبدل نعمة الله كفوياً.

وقال الغزالي: نفس المرأة على مثل فرسك، إن أرسلت عنانها قليلاً جمحت بك طويلاً، وإن أرخيت

عذارها فتراً جذبتك ذراعاً، وإن كَبَحْتَهَا وشددت يدك عليها في محل الشدة ملكتها قال الشافعي رضي الله عنه: ثلاثة إن أكرمتهم أهانوك، وإن أهنتهم أكرموك: المرأة والخادم، والتبطي، أراد به إن محضت الإكرام ولم تمزج غلظتك بلينك، وفظاظتك برفقك، وكانت نساء العرب يعلمن بنآهن اختبار الأزواج تقول المرأة لابنتها: اختبري زوجك قبل الإقدام والجراة عليه، وانزعي زج رحمة فإن سكت على ذلك فقطعي اللحم على ثرسه، فإن سكت فقطعي العظام بسيفه، فإن صبر فاجعلي الإكاف على ظهره، فامتطيه فإنما هو حمارك.

وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والارض، فكل ما جاوز حده، أنعكس على ضده. فينبغي أن يسلك سبيل الاقتداد في المخالفة والموافقة، ويتبع الحق في جميع ذلك ليسلم من شرهن وكيدهن. فإن الغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل، ولا يعتدل ذلك إلا بنوع لطف ممزوج بالسياسة. وزبر عمر امرأته مرة لما راجعته وقال لها: ما أنت إلا لُعبة في جانب البيت، إن كانت لنا إليك حاجة وإلا جلست كما أنت. فإذا كان فيهن شرٌّ وفيهن ضعفٌ، فالسياسة والخشونة علاج الشر، والمطايبة والرحمة علاج الضعف، والطبيب الحاذق هو الذي يقدر العلاج بقدر الداء، فيلتفتن الرجل أولاً لأخلاقها بالتجربة ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها. وقد بسط الكلام على ذلك الغزالي في الإحياء وغيره. وهذا القدر كاف، وبما قصدناه بحمد الله تعالى واف. والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، كما يحب ربنا ويرضى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً طيباً كافياً.

قال مؤلفة: أمهات تسويداً جامعته فقير عفو الله تعالى أبو البركات محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله العامري الشهير بابن الغزي الشافعي في أوائل شعبان سنة أربع وأربعين وتسعمائة أحسن الله تعالى ختامها.

[To PDF: http://www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)